The basic principles of raising a child according to Jean-Jacques Rousseau through developing human nature

المبادئ الأساسيَّة لتربية الطِّفل عند روسو من خلال تنمية الطَّبيعة الإنسانيَّة

almabaadi' al'asaasyya latrbya attifl 'and rawsou man khalaal tanmya attabee'a al'insaanyya

جبار دليلة[1]

DJEBAR Dalila

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر)، rabiehadjem9@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/9/15 تاريخ القبول: 2024/4/18 تاريخ النشر: ../2024/6

Abstract : The study aimed to identify the basic principles that Rousseau relied on in raising children, and to attempt to highlight the importance of the natural trend in the educational process, and to address the most important ideas contained in the book “Emile”, with regard to methods of raising children, and the role of benevolent nature in forming individuals and preparing them for social life. In doing so, I relied on the synthetic analytical approach appropriate to the nature of the research, and the research demonstrated a set of results, the most important of which is reliance on the good nature of humans as a model for a valid educational approach for raising children and respecting the child’s natural instincts and inclinations.

Keywords : Rousseau; education; child; good nature; humanity.

ملخص: هدفت الدراسة إلى التَّعرف على المبادئ الأساسية الَّتي اِعتمد عليها روسو في تربية الطفل، ومحاولة إبراز أهمية الاِتجاه الطَّبيعي في العملية التَّربويَّة، والتَّطرق إلى أهم الأفكار الواردة في كتاب "إميل" ، فيما يتعلق بطرق تربية الأطفال، ودور الطَّبيعة الخيرة في تكوين الأفراد وإعدادهم للحياة الاِجتماعيَّة، وقد اِستندنا في ذلك على المنهج التَّحليلي التَّركيبي الملائمان لطبيعة البحث، وبيَّن البحث مجموعة من النَّتائج، وأهمها هي الاعتماد على الطَّبيعة الخيِّرة للإنسان كنموذج لمنهج تربوي صالح لتربية الأطفال واِحترام الغرائز والميول الفطريَّة للطفل.

الكلمات المفتاحية: روسو ؛ التَّربية؛ الطفل ؛ الإنسانيَّة ؛ الطَّبيعة الخيرة.

المؤلف المرسل: جبار دليلة

1.مقدمة:

1.1 تمهيد:

إنَّ التَّربية عملية متطورة متفاعلة مع مختلف الظُّروف التَّاريخيَّة والاِجتماعيَّة والاِقتصاديَّة، وبما أنَّ التَّربية مرآة المجتمع فهي تعمل على نقل الثَّقافات بين الأجيال والشُّعوب ، وتسعى إلى توفير الوسائل المختلفة لتحقيق النُّمو الشَّامل للإنسان من النَّاحية العقليَّة والبدنيَّة وكذلك الاِجتماعيَّة، وتنشئة الأجيال الصَّاعدة، والتَّأثير على أفكارهم وثقافتهم، لهذا فالتَّربية من المواضيع الَّتي أثارت اِهتمام الكثير من الفلاسفة والمفكرين، وقد تأثر التُّراث التَّربوي منذ فجر التَّاريخ بعدد هائل من فلاسفة التَّربية الَّذين ساهموا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إثراء هذا التُّراث الخالد، ولقد كان جان جاك روسو(Jean Jacques Rousseau 1712-1778) من أئمة المفكرين والمربيين الفرنسيين في القرن الثامن عشر، فهو من أبرز عمالقة عصر التَّنوير وأكثرهم تأثيرا وخاصة في مجال التَّربية، عن طريق تقديمه لكتابه "إميل" الَّذي أحدث ضجة وثورة شاملة في بيئة التَّصورات والعقائد التَّربويَّة في عصره، لقد كان هذا الفيلسوف يؤمن بأنَّ أحسن وسيلة لتربية أطفالنا هو الإيمان بالنُّمو الحر الطَّليق لطبيعة الطِّفل ولميوله ونوازعه الفطريَّة فهو الواضع الحقيقي لأصول التَّربية الطَّبيعيَّة الَّتي تجعل الطِّفل محور العملية التَّربويَّة، ولهذا تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضَّوء على بعض الأسس التَّربويَّة لتربية الطِّفل عند جان جاك روسو من خلال تنمية الطَّبيعة الإنسانيَّة.

2.1 إشكالية البحث:

لقد شكلت الفلسفة الطَّبيعيَّة ثورة على منطق القرون الوسطى من رجال الدِّين والكنيسة، والتَّقليد التَّربوي السَّائد حينها الَّتي تؤكد على اِستعمال أدوات القهر والقوَّة في العملية التَّربويَّة، على خلاف هذه الرُّؤية للطَّبيعة الإنسانيَّة كان روسو يؤمن بخيرية الطَّبيعة الإنسانيَّة الَّتي حدد معالمها في كتابه "إميل" الَّذي يتضمن منظومة من الأفكار التَّربويَّة الَّتي تشكل نظرية متكاملة في التَّربية حسب الطَّبيعة، وقد اِتخذ من الفطرة الإنسانيَّة ركيزة أساسيَّة للتنشئة السَّليمة للطفل إميل الَّذي اِختاره روسو ليكون نموذجا شاملا ومثاليًّا للتَّربية الطَّبيعيَّة، الَّتي حدد معالمها عن طريق مجموعة من الأسس والمبادئ الَّتي تساهم في تنشئة الطِّفل إميل تنشئة تربويَّة سليمة .

3.1 تساؤلات البحث:

- ما هي أهم المبادئ التَّربويَّة الَّتي إستند إليها روسو في تربية الطِّفل إميل؟
- كيف ساهمت الطَّبيعة الخيرة للإنسان في تربية الطِّفل إميل تربية صالحة؟

4.1 فرضيات البحث:

- إنَّ أهم المبادئ التَّربويَّة الَّتي إستند إليها روسو تتمثل أولا في تربية الطِّفل إميل تربية طبيعيَّة والعمل على تنمية وترسيخ قيم الإنسانيَّة في الطِّفل إميل،وثانيا تركه يدير أموره بنفسه هن طريق التَّربية السِّلبية، وثالثا تتمثل في الإهتمام بتدريب الحواس وتثقيفها، ورابعا منح الطِّفل إميل الحريَّة منذ ولادته،وأخيرا، الإعتناء بالتَّربية الأخلاقيَّة والدِّينيَّة للمتعلم.
- إنَّ الطَّبيعة الخيرة للإنسان أساس لمنهج تربوي صالح ، لأنَّ روسو يعتقد أنَّ الطَّبيعة الخيرة صفة فطرية في الإنسان، علينا العمل على إحترامها ، ولذلك طالب روسو منذ البداية على إزالة كل الصعوبات الَّتي تعوق الطَّبيعة البشريَّة الخيّرة عن النُّمو الطَّبيعي.

5.1 أهداف البحث:

- التَّعرف على المبادئ الأساسيَّة الَّتي أقام عليها ؤوسو مشروعه التَّربوي،ومحاولة تحديد أهمية الإتجاه الطَّبيعي التَّربوي في تنشئة الطِّفل بما يتوافق مع ميوله وطبائعه.
- التَّعرف على أبرز الأفكار التَّربويَّة الواردة في كتاب "إميل" فيما يتعلق بالطرق المتبعة في تربية الأطفال ومحاولة إدراجها في البرامج التَّربويَّة المتعلقة بالتَّعليم وتربية الأطفال في المؤسسات التَّعليميَّة لأنها تشكل أحد مفاتيح حضاراتنا الحديثة والمعاصرة.

6.1 منهجية البحث:

تعتمد الدِّراسة على مجموعة من المناهج المساعدة على إيجاد الحلول المناسبة للأسئلة المطروحة، ومن أبرزها المنهج التَّحليلي كمنهج رئيسي في البحث، القائم على تحليل أفكار روسو التَّربويَّة من خلال مجموعة من المصادر والمراجع الضَّروريَّة للبحث، والمنهج التَّركيبي الَّذي على أساسه تتجمع وتتكون وتتكامل وتنسجم الأفكار المتعلقة بالبحث.

2.نبذة تاريخيَّة عن حياة روسو وأشهر مؤلفاته

يعتبر جان جاك روسو واحدا من أشهر فلاسفة عصر التَّنوير الَّذي كان له الفضل في وضع الأسس الأولى للتَّربية الحديثة وذلك من أجل الإِعتراف بحق الطِّفل في التَّربية ومن أجل إِحترام ميوله وطبيعته، فلقد كان المؤسس الحقيقي لأصول الفلسفة الطَّبيعيَّة الحديثة الَّتي تجعل الطِّفل محور العمليَّة التَّربويَّة .

ولد جان جاك روسو **(Jean Jacques Rousseau)** في 28 يونيو عام 1712ب **"جنيف"** في سويسرا من أب ساعاتي وهو "إسحاق روسو" وأمه "سوزان برنار" الّتي توفيت بعد ولادته بفترة وجيزة ، وعبَّر عن هذه المأساة في كتابه **"الإِعترافات"** قائلا: "ولدت ضعيفا سقيما، وقد دفعت أمي حياتها ثمن ولادتي وكانت هذه الولادة سبب تعاستي" (جان جاك روسو،1998، ص10) ، وقد تولت إحدى عمَّاته تربيته ، ومن ثمَّ عهد به والده إلى أحد الحفَّارين كي يعلمه صناعته، وكان هذا الرَّجل فظًّا قاسيا، وهذا ما جعل روسو يغادر المدينة وهو في السادسة عشرة من عمره، ولقد تعلَّم شتَّى الحرف في سويسرا وإيطاليا.

بعد ثماني سنوات، تعرَّف على سيدة اسمها "دي وارنر" في مدينة سفواي في إيطاليا وقد قدر له أن يعيش معها أفضل عشر سنوات من عمره ، تعلم من خلالها اللُّغة اللَّاتينيَّة والموسيقى والفلسفة وبعض العلوم الأخرى.

في عام 1745، سافر إلى باريس وأخذ يتردد على الفلاسفة، وخاصة "ديدرو"(Denis Diderot 1713-1784) وقد تعرف على "تيريز ليقا شويه" وهي كما يصفها كانت خادمة غبيَّة على جانب كبير من الخشونة وعاش معها بقية عمره ، فقد كانت صديقته مدة ثلاثة وعشرين عاما ثمَّ تزوجها وأنجب منها خمسة أطفال أودعهم جميعا دار الأيتام لأنَّه لا يمتلك الوسائل الكافية واللَّازمة لتربيتهم ولقد كانت هده المسألة سببا في اِنتقاده من طرف الكثير من المفكرين وخاصة في مجال التَّربية.

وذات مرة، قرأ في إحدى الصحف أن أكاديميَّة ديجون عرضت مسابقة للإجابة عن إشكالية وهي كالآتي: هل أدى تقدم العلوم والفنون إلى تقدم الأخلاق؟ ، فخطر له الجواب بالسِّلب، وشرع يكتب وقدم إلى الأكاديميَّة ما كتبه وأحرز الجائزة ، وهذا أصل كتابه الأوَّل "مقال في العلوم والفنون" الَّذي نُشر عام 1750 ونال شهرة كبيرة في

أوروبا (محمود عبد الرزاق،1977، ص266)، ثمَّ أعلنت تلك الأكاديميَّة عن مسابقة أدبيَّة بعنوان: "ما منبع تفاوت المراتب بين النَّاس؟ وهل يقره القانون الطَّبيعي؟" ، فعقد العزم على الكتابة ونشر كتابه الثَّاني "مقال في أصل التَّفاوت بين النَّاس" عام 1754 وفي عام 1762، نشر كتابين أحدهما "العقد الاجتماعي" والآخر "إميل أوالتَّربية" وهذا الأخير يمثل رؤية في التَّربية والتَّعليم والحياة وسبب له العديد من المشاكل مع السُّلطات في باريس، ففرَّ إلى سويسرا، إلا أن السُّلطات السُّويسريَّة رفضته أيضا فطردت روسو، فلجأ إلى إنجلترا أين مكث عند ديفيد هيوم (David Hume1711-1776) وهو فيلسوف تجريبي إنجليزي، ولكن تخاصما فعاد روسو إلى باريس، فقضى بقية أيَّامه في كوخ في إحدى الغابات في حالة من التَّشرد والاِضطراب حتى توفي عام 1778، ودُفن بالقرب من المكان الَّذي عاش فيه، وبعد قيام الثَّورة الفرنسيَّة سنة 1789 نقلت جثمانه إلى مقبرة العظماء بباريس (محمود عبد الرّزاق، 1977، ص 266).

3.مفهوم التَّربية

1.3 مفهوم التَّربية بصفة عامة:

- **المعنى اللُّغوي للتَّربية:**

في الإنجليزيَّة "education"، مأخوذة من اللَّاتينيَّة بحيث الأصل اللَّاتيني هو"educare"، بمعنى القيادة، أمَّا في اللُّغة العربية فالتَّربية من ربَّى الرّباعي أي غذَّى الولد وجعله ينمو، وربَّى الولد هذبه، وأصلها ربَّا يربو، أي زاد ونما، ويقال رب القوم ساسهم وكان فوقهم، أو ربَّ النِّعمة زادها وربَّ الولد ربَّاه حتى أدرك، صفوة القول، التَّربية عند العرب تفيد السِّياسة، والقيادة، والتَّنمية .(أحمد فؤاد الأهواني، 1987، ص41)

- **المعنى الاِصطلاحي للتَّربية:**

التَّربية هي تبليغ الشَّيء إلى كماله، أو هي تنمية الوظائف النَّفسيَّة بالتَّمرين حتَّى تبلغ كمالها شيئًا فشيئًا يقول:"ربيّت الولد، إذا قويت ملكانه، ونميْتَ قدراتَه، وهذبت سلوكه، حتَّى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة". (جميل صليبا، 1978،ص222)

إنَّ التَّربية تمثل مجموعة التَّصرفات والتَّأثيرات الَّتي يمارسها إراديا إنسان على آخر ، ومبدئيا يمارسها راشد على شاب، والَّتي تهدف إلى التَّوجيه نحو مقصد يتمثل

في تكوين اِستعدادات شتَّى لدى الشَّباب تتطابق مع الغايات الَّتي يصير إليها عندما يصبح ناضجا (جميل صليبا، 1978، ص 222) ، كما أنَّ التَّربية هي تنمية الشَّخصية البشريَّة الإجتماعيَّة إلى أقصى درجة تسمح بها إمكانياتها واِستعداداتها بحيث تصبح شخصيَّة مبدعة ،خلّاقة، منتجة، متطورة لذاتها ولمجتمعها ولبيئتها من حولها (بدر الدِّين بن تريدي، 2010، ص 101) ، والواقع أنَّ هناك عدة معان للتَّربية تتفرع كلُّها من عملية النُّمو، فهي بالمعنى الواسع تتضمن كل عملية تساعد على تشكيل عقل الفرد وخُلُقه وجسمه بإستثناء ما قد يتدخل في هذا التَّشكيل من عمليات تكوينيَّة أو وراثيَّة، وهي بهذا المعنى تعني التَّنشئة الإجتماعيَّة المتكاملة للفرد، والتَّربية بالمعنى الضيق تعني غرس المعلومات والمهارات المعرفيَّة من خلال مؤسسات معينة (كالمدارس وغيرها....)أُنشئت لهذا الغرض(محمد منير مرسي، 1993، ص 17) ، وأحيانا بالبيداغوجيا "**Pedagogy**" وهي كلمة ترجع في أصلها إلى الإغريق، وتعني توجيه الأولاد.

2.3 مفهوم التَّربية عند روسو:

إنَّ كتاب جان جاك روسو الشَّهير "إميل" ونظريته في التَّربية قائمتان على ذلك المبدأ الَّذي اِعتنقه بروح الفنَّان "أنَّ الطَّبيعة خيِّرة وليس لنا أن نقاومها أو نعارضها في تقدمها الفطري" (جان جاك روسو، 1958، ص 12) ، ولهذا فالتَّربية عند روسو هو أن نترك الطِّفل إميل لتنمو فيه جميع الميول الطَّبيعيَّة الَّتي وُلد بها، متيقنا أنَّ نمو تلك الميول فيه هو سبيله السَّوي إلى الفضيلة.

إنَّ التَّربية الَّتي يريدها روسو تلائم طبيعة الإنسان وتتفق مع العاطفة البشريَّة، وقد ركزَّ روسو على تقديم نموذج الإنسان الطَّبيعي، وقد كان يعرف جيدًا أننا لا نستطيع إصلاح الأمور الدنيويَّة دون أن نسعى أولا إلى إصلاح التَّربية ، وإصلاح التّربية يبدأ بالإعتناء بالطفل لأنَّ أخلاق المجتمع تتكون تبعا لما نغرسه من عادات ومبادئ في نفوس النشئ.

كان روسو يعتقد أنَّ التَّربية ما هي إلَّا مسألة جوهريَّة تهدف إلى تخليص العقل وتحريره من الأفكار المسبقة الَّتي تبحث عن تعاليم الكنيسة ، ويقول في هذا الصدد:"لن أطيل الكلام عن قيمة التَّربية الصَّالحة، ولن أتلكأ لأثبت أنَّ التَّربية السَّائدة

الآن فاسدة فقد سبقني إلى ذلك ألف إنسان...وحسبي أن أشير هنا إلى تلك الصَّحية الَّتي طالما ترددت في الأسماع منددة بطريقة التَّربية القائمة، بيد أنَّ أحدا لم يجشم نفسه عناء الدَّعوة إلى ما هو خير منها!" (جان جاك روسو، 1958، ص 18) ، يتضح لنا من خلال قول روسو أنَّه ينتقد التَّربية السَّائدة في عصره الَّتي تسعى إلى تكوين مؤمنين مسيحيين ، وحشو عقول الأطفال بتعاليم دينيَّة كالخطيئة والعقاب وغيرها من الأفكار المشابهة لها والسَّائدة في العصر الوسيط ، ولكن روسو سعى إلى تأسيس فلسفة تربويَّة جديدة تتعامل مع الطّفل وفق خصوصيَّته العمريَّة .

لقد أراد روسو أن تكون التَّربية نموذجا صالحا تحترم فيه الميول الفطريَّة والطَّبيعيَّة للطفل ، كأنَّه يقول: " أعدوا طريق التَّربية المستقيمة! اِحترموا الطَّبيعة في الطفل،! اِحترموا فطرته وميوله! لا تتجاهلوا الطَّبيعة ولا تمسخوها !" . (جان جاك روسو، 1958، ص16)

يستمد الإنسان تربيته من هذه المصادر الثَّلاثة: الطَّبيعة والإنسان والأشياء، وإذا لم تتلاءم التَّربية الصَّادرة عن هذه المصادر الثَّلاثة ، ساءت تربية الفرد، وأمَّا إذا توافقت في تربية فرد من الأفراد، واِتجهت نحو الهدف نفسه، فعندئذ يمكن أن يقال أنَّ هذا الفرد يتجه اِتجاها صحيحا ويقال عنه دون غيره أنَّه تربى ، والاِنسجام في التّربية لا يتحقق إلَّا إذا أخضعنا تربية الإنسان والأشياء للطبيعة، هذا ما يبينه لنا روسو في كتاب "إميل" :" التَّربية تأتينا من الطَّبيعة أو من النَّاس أو من الأشياء، فنمو وظائفنا وجوارحنا الدَّاخليَّة هو في تربية الطَّبيعة، وما تتعلم من الإفادة من ذلك النُّمو هو تربية النَّاس ، وما تكتسبه بخيراتنا عن الأشياء الَّتي تتأثر بها هو تربية الأشياء".(جان جاك روسو،1958، ص 26)

4.أسس تربية الطفل عند روسو

1.4 التَّربية الطَّبيعيَّة عند روسو:

يبدأ روسو كتابه المشهور في التَّربية "إميل" بعبارة مثّلت الحجر الأساسي في فلسفته التَّربويَّة وكانت كالآتي: "يخرج كلُّ شيء من يد الخالق صالحا، وكلُّ شيء في أيدي البشر يلحقه الاِضمحلال"(جان جاك روسو،1958، ص 24)، بحيث يعتقد

روسو أنَّ الطفل يمتلك قدرات فطريَّة معينة عند ولادته، وعلى الإنسان أن يحترم النُّمو الطَّبيعي لهذه القدرات .

إنَّ الطَّبيعة عند روسو هي الأساس لمنهج تربوي صالح، فهو يعتقد أنَّ الطَّبيعة خيِّرة والفساد كلُّه يأتي من المجتمع، فالمجتمع أصل كلُّ فساد يلحق بالإنسان، ولذلك يعزل الطِّفل عن المجتمع حتَّى ينمو نموًا طبيعيًّا مستمتعا بحياته الخيِّرة ، "لأنَّ المجتمع يحمل النَّاس على التَّباغض ... وعلى الضّرر ببعضهم، في الحقيقة والباطن، ضررا بليغا متنوع الأشكال". (جان جاك روسو، 1991، ص 154)

آمن روسو ببراءة الطِّفل وبطبيعته الخيِّرة، فالإنسان ليس شريرا بطبعه، لذلك طالب روسو منذ البداية على إزالة كل الصعوبات وكل ما يعوق الطَّبيعة البشريَّة الخيرة عن النُّمو الطَّبيعي.

إنَّ مفهوم الطَّبيعة عند روسو يعني العادة، و كما أنَّ الطَّبيعة عادة ، فالتَّربية لا تخرج عن أن تكون عادة، فالإنسان إذا بقي على حاله اِحتفظ بالعادات الَّتي أقحمت على طبيعته، ولكن متى زالت تلك الحالة اِنقطعت العادة وعاد إلى الحالة الطَّبيعيَّة وما التَّربية إلَّا عادة .

كما أنَّ الطَّبيعة عند روسو تمثل الغرائز والإحساسات، فإذا صرنا شاعرين بإحساساتنا وغرائزنا وميولنا، تتسع هذه الأحوال كلما كنَّا أكثر إحساسا ومعرفة بها، إلَّا أنَّ هذه النَّزعات كما يقول روسو: "تتغير بتغير معتقداتنا وبضغط من عاداتنا، أمَّا قبل ذلك التَّغيُّر القسري ، فهذه النَّزعات هي الَّتي أطلق عليها اِسم طبيعتنا ، إلى هذه النَّزعات الأوليَّة ، إذن ينبغي أن نرد كلَّ شيء". (جان جاك روسو، 1958، ص28)

2.4 تنمية الطَّبيعة الإنسانيَّة:

تعتبر فلسفة روسو في مجملها تتمحور حول الإنسان، فروسو يحدد بوضوح تام موضوع دراسته في بداية كتابه "أصل التَّفاوت بين النَّاس" حيث يقول: "على الإنسان ينبغي أن أتكلَّم"(جان جاك روسو،1991، ص31) ، لذلك فقد كانت معرفة الإنسان هي بداية لكل تفلسف، لذلك نجد أنَّه في كتاب "إميل" يعرض لنا لونًا من التَّربية ، غير قائم على نمط المجتمع، ولا على أساس التَّقاليد المدرسيَّة التَّافهة، وعلى إهمال وتجاهل الطُّفولة وعدم الاِعتناء بهؤلاء الأبرياء، ولكن التَّربية قائمة أوَّلا وقبل كلِّ شيء

على معرفة حقيقيَّة للإنسان، كما بيَّن ذلك في كتابه "العقد الاِجتماعي" أنَّ الحقوق الوحيدة للإنسان (أي حقوقه الطَّبيعيَّة) هي تلك الحقوق المستمدَّة من الطَّبيعة، وكذلك نجد أنَّه في كتابه الشَّهير "إميل" يؤكد أنَّ التَّربية تسيِّرُها هذه القوانين نفسها، فالرَّجل الطَّبيعي ليس بالإنسان الهمجي، ولكنَّه إنسان تسيِّره وتحكمه قوانين طبيعيَّة، ولقد رفض روسو التَّربية الَّتي تضحي بحاضر الإنسان من أجل إعداده للمستقبل الَّذي اِعتبره روسو مستقبل مجهول، فهذا النَّوع من التَّربية يقيِّد الطِّفل بالأغلال ويجرّده من حريته، وتعده لمستقبل سعيد ربَّما قد لا يصل إليه مطلقا، لذلك فروسو يدعو إلى ترك الأطفال يعيشون كل مرحلة بتفاصيلها وخصائصها، ولا ننظر إلى طفل الحاضر على أنَّه رجل المستقبل بل يجب أن نعامل الطِّفل وفقا لسنِّه ويقول في هذا المعنى:"فالإنسان له مكانه المحدد في ترتيب الموجودات الطَّبيعيَّة، والطُّفولة لها مكانها المحدد في ترتيب الحياة البشريَّة ، لذا يجب أن نعتبر الرَّجل في الرَّجل وأن نعتبر الطِّفل في الطِّفل ، إنَّ تحديد مكان كل واحد وتثبيته في ذلك المكان، وتنظيم الانفعالات البشريَّة على حسب تكوين الإنسان، ذلك كل ما نملك أن نصنعه لتسير سعادة كلّ إنسان". (جان جاك روسو،1958، ص82)

ويرى روسو أنَّ الهدف من التَّربية هو أنَّ نُكوِّن إنسانا مستعدا لمواجهة الحياة وأن نهتم بتنمية الطَّبيعة الإنسانيَّة فيه ، أي أن يكون إنسانا قبل نلِّ شيء لأنَّ الطَّبيعة تُندِبُه قبل كلِّ شيء للحياة الإنسانيَّة وقد صرَّح بذلك في كتابه "إميل" قائلا:"وحين يتخرج من بين يدي لن يكون قاضيا أو جنديا أو قسيسا بل سيكون إنسانا قبل كلِّ شيء". (جان جاك روسو، 1958، ص 32)

لقد أكدَّ روسو في كتابه "إميل" على ترسيخ فكرة الإنسانيَّة في الطِّفل إميل لأنَّها واجبه الأوَّل وأن يكون رحيما متسامحا مع جميع النَّاس وينذّد بذلك قائلا:"أيُّها النَّاس كونوا أشد إنسانيَّة فهذا هو واجبكم الأوَّل، كونوا رحماء بجميع الطَّبقات، وبجميع الأعمار وبجميع من ليسوا غرباء عن البشريَّة، فأي حكمة يمكن أن تكون لكم إن أخرجتم عن إنسانيتكم؟" (جان جاك روسو، 1998، ص 80)

وأخيرا نستطيع أن نستنتج أنَّ من بين المبادئ الأساسيَّة العمليَّة التَّربويَّة عند روسو هو تربية الإنسان، من حيث هو لا تربية من حيث ما ليس هو ، وهذا ما

نحتاج إليه في حياتنا المعاصرة العودة إلى إحياء قيم الإنسانيَّة في ومجتمعاتنا والعمل على تربية أطفالنا في جميع المستويات التَّعليميَّة ، على اِحترام الكرامة الإنسانيَّة ومعاملة الأفراد بصورة إنسانيَّة آدميَّة ، وإبعادهم عن الميول والمصالح الذَّاتيَّة أو تجريدهم من أنانيتهم ، وحتى روسو في كتابه "أصل التَّفاوت بين النَّاس"، يقول:"لا حاجة لنا أبدا إلى أن يجعل من الآدمي فيلسوفا قبل أن نجعل منه إنسانا".(جان جاك روسو، 1991، ص27)

3.4 التَّربية السِّلبيَّة:

لقد كانت التَّربية السِّلبيَّة عنصر هام في فلسفة روسو التَّربويَّة، إنَّها مرادفة للتَّربية الطَّبيعيَّة ويعني بذلك أن نترك الطِّفل يكتشف العالم الَّذي يعيش فيه، ويحاول إدراك الأشياء المحيطة به عن طريق التَّفاعل المباشر معها وعن طريق الحوادث الَّتي يتعرض لها في حياته الواقعيَّة، وحتى إذا كان ذلك يسبب له الألم، ولكن دون أن يشكل ذلك خطرا على حياته.

إنَّ هدف التَّربية السِّلبيَّة هو ترك الطِّفل يدير أموره بنفسه، فلا ينبغي أن نلقن التِّلميذ في هذه المرحلة دروسا لفظيَّة، فالتَّجربة وحدها هي الَّتي تتكفل بتعليمه وتأديبه، لذلك يؤكد روسو على أنَّ التَّربية الأولى للطِّفل ينبغي أن تكون سلبيَّة خالصة، فالطَّبيعة وحدها هي الَّتي تتولى الطِّفل بالرِّعاية، لذلك علينا الاِستغناء عن توجيهات المربي ورقابته، ولا يتدخل في ذلك ، إلَّا عند حاجة الطِّفل لإشباع ميوله وتصحيح إجابته وذلك حتى ينمو الطفل نموا طبيعيًّا، فالمربي في هذه الحالة بالنسبة إلى روسو ليس معلما وإنَّما هو مسَيِّر الآلة، أمَّا المعلم أو المربي الحقيقي فهو الطَّبيعة.(عبد الله عبد الدائم، 1984، ص383)

إنَّ التَّربية السِّلبيَّة عند روسو قائمة على جملة من القواعد وهي:

- لا تقدم للتِّلميذ أي نوع من الدُّروس اللَّفظيَّة، فعليه أن يتلقى مثل هذه الدُّروس من التَّجربة.
- تجعل المسائل في متناوله، وتدع حلَّها له، وتجعله قدر المستطاع يفهم كلَّ شيء بنفسه دون مساعدته.

- نترك الطِّفل حرية الإكتشاف عن طريق الخبرة العمليَّة، فتبعده عمَّا يضره ونتركه يتحمل مسؤوليَّة أفعاله، ويقدم لنا روسو مثال على ذلك: فالطِّفل عندما يكسر زجاج النَّافذة لا يجب أن نؤذيه أو نعاقبه بل يجب أن نترك الزُّجاج دون إصلاحه، حتَّى يشعر الطِّفل إميل بالبرد سيدرك بأنَّه أخطأ عندما كسر زجاج نافذة الغرفة.
- إستبعاد تلقين الدُّروس النَّظريَّة من تربية الطِّفل إميل كاللُّغات والجغرافيا والتَّاريخ، وتعويده على الممارسة والتَّمرن.

خلاصة القول، التَّربية السِّلبية عند روسو متفقة في أفكارها مع أحدث الإتجاهات التَّربويَّة الحديثة والمعاصرة اليوم، وعلى رأسها تلك الطَّريقة الَّتي تسعى أن تجعل من المعلم مرشدًا وموجهًا، ونترك حرية قيادة العمليَّة التَّربويَّة للطلاب لأنفسهم وأحسن مثال على ذلك ، طريقة التَّدريس المنتشرة في جميع المؤسسات التَّعليميَّة الجزائريَّة اليوم، المتمثلة في التَّدريس عن طريق المقاربة بالكفاءات الَّتي تجعل من المتعلم محور العمليَّة التَّربويَّة والمربي أو المعلم مجرد موجه ومرشد للمتعلم ، مقارنة بالطَّريقة الكلاسيكيَّة المطبقة في الماضي، بحيث كان المعلم هو أساس ومصدر المعرفة، ويكون التِّلميذ مجرد وعاء يتم حشوه أو ملأه من طرف المعلم بجميع المعارف وبكلِّ ما يريد، وهذا الأمر الَّذي تم رفضه تماما من روسو.

4.4 تربية الحواس:

اِهتمَّ روسو بعملية تدريب حواس التِّلميذ وتنميتها، ليستعملها في التَّمييز بين الأشياء "فرياضة الحواس هي بعينها أن نتعلم كيف نحس، لأننا لا نعرف كيف نلمس أو كيف نرى أو كيف نسمع إلَّا كما تعلمنا ذلك".(جان جاك روسو،1958،ص134)

إنَّ الحواس عند روسو من الملكات الأولى الَّتي تتكون لدينا، فالواجب أن نبدأ بتثقيفها أولا، والواقع أنَّها هي الَّتي نهملها وننساها أكثر من غيرها، ولا يرى روسو الحواس مكونة بفطرتها من قبل الطَّبيعة، بل يبحث عن الوسائل الَّتي تساعدنا على تكوينها ويريد أن يبلغ بها كمالها عن طريق التَّربية.

كما يدعو أن لا نكتفي برياضة القوَّة البدنيَّة ، بل ينبغي علينا أن نهتم ونعتني برياضة جميع الحواس، ويجب أن نستفيد من كلِّ حاسة من حواسنا دون اِستثناء ، أمَّا

حاسة اللَّمس فهي لا تحتاج كثيرا إلى الرِّياضة مقارنة بالحواس الأخرى، لأنَّ عملها لا يتوقف طوال مدة يقظتنا، ولأنَّها منتشرة فوق سطح جسمنا كلّه وكأنَّها حارس ينبهنا إلى كلِّ ما يمكن أن يؤذينا.

5.4 الحريَّة :

إنَّ التَّربية الَّتي تسير وفقا لقوانين الطَّبيعة تحترم ميول الطِّفل وغرائزه الفطريَّة ورغباته وميوله، وبذلك تسعى على تحرير قِواهم بدلا من كَبتِها وإخضاعها للتَّقاليد والقوانين الاِجتماعيَّة، لأنَّ في الحريَّة عونا للطفل فهي تساعد على تنمية شخصيته، وتعوده على الاِستقلال والاِعتماد على النَّفس، يجب أن نمنح الحريَّة للطفل منذ ولادته، فهو لا يريد اللَّفائف والأربطة الَّتي تضعها الأم حول جسم الطِّفل، لأنَّها تمنعه من الحركة، وإنَّما علينا أن نترك الطِّفل حرًّا حتَّى يحبو وأن يترك يحبو كما يشاء، ويقول روسو في هذا الصدد: "فهو لا يريد اللَّفائف ولا الأربطة الَّتي تقيد الطِّفل وتشل حركاته، وإنَّما يجب أن يُترك الطِّفل حرًّا". (جان جاك روسو، 1958، ص 8)

إنَّ خير ضمان للحريَّة عند روسو هي الطَّبيعة، فلا يجب أن نقاومها أن نعاكسها في تقدمها الفطري، لذلك منح روسو الحريَّة للطفل في سن مبكرة، حتَّى يكون طفلا متوازنا في شخصيته لأنَّ الحريَّة عند روسو حق طبيعي للإنسان، وقد أكد على هذه الفكرة في كتابه "العقد الاِجتماعي" قائلا: "ولد الإنسان حرًا، إلا إنَّه مكبل في كل مكان بالأغلال". (جان جاك روسو، دت، ص 35)

6.4 التَّربية الأخلاقيَّة والدِّينيَّة:

إنَّ التَّربية الأخلاقيَّة مرحلة مهمة في حياة الطِّفل، لأنَّها تمثل زرع قيم إنسانيَّة جديدة في الأفراد، فمتى اِستطاع الأطفال أن يقوموا لأنفسهم بمزيد من العون والعمل، دليل على نمو قواهم ومع نمو قواهم تنمو معرفتهم بحيث يكونون قادرين على اِستخدام قواهم وتوجيهها، وبهذا تبدأ حياة الفرد، إذ يبدأ عندئذ وعيه لذاته، "وتقوم الذَّاكرة بمد الشُّعور بالآنية إلى جميع لحظات حياته، فيغدو شخصا واحدا بمعنى الكلمة، هو عين ذاته دائما ، ويكون بالتَّالي قادرا على الشُّعور بالسَّعادة أو الشَّقاء، ويكون من المحتم أن نعتبره منذ ذلك الحين كائنا أخلاقيا"(جان جاك روسو، 1958، ص 79)، وأول درس في الحياة الأخلاقيَّة تقوم على تعليم الطِّفل إميل الشَّجاعة، عن طريق تحمل

الألم، والألم هو ما سيجعل إميل إنسانا، لذلك فالعذاب هو أول شيء يحب أن يتعلمه، لأنَّ معرفته للمعاناة والآلام والعذاب تولد فيه مشاعر الرَّأفة، والشَّفقة على الآخر.

لا يمكن الحديث عن الشَّفقة عند روسو دون التَّطرق إلى عاطفة حب الآخر والخيرية الطَّبيعيَّة، فهما عنصران أساسيان في سبيل تأسيس أخلاق الإنسان الطَّبيعي، كما أنَّ التَّربية الأخلاقيَّة قائمة على التَّجربة والخبرة، فيجب تعليم الطِّفل إميل مفهومَيْ اللَّذة والألم وهذا قبل سن الثَّانية عشر، ثمَّ بعد الخامسة عشر يأتي دور العقل في تنشيط ملكتي المقارنة والتَّخيل ويشرع المربي في العمل على إبعاد الطِّفل إميل عن كلِّ ما لديه علاقة بالرَّذيلة وترسيخ قيم الفضيلة.

إنَّ تربية إميل كانت حتى الآن عملية، فكيف نوصله إلى فكرة الخالق؟ الَّذي لا نستطيع أن نراه بالعين ولا نلمسه اليد؟ فعلى أي دين ينشأ الفتى إميل؟ الجواب إننا لن نعلمه هذا الدِّين أو ذلك وإنَّما سنضعه في وضع يتيح له اِستعمال عقله على أفضل نحو ليقوده إلى الاِختيار السليم". (نجيب المستكاوي، 1989، ص 339)

يؤكد روسو على ترك الحريَّة للأطفال في مجال الدِّين، ولكن بشرط أن يتعرف المتربي على الأديان وبراهينها ليتمكن من الاِختيار الصَّائب للدين الَّذي يعتنقه بعيدا عن الأكاذيب والتَّحريف ، حيث يقول روسو في كتابه "دين الفطرة":"كل ما يمكن أن يهدينا إليه نور العقل في حدود الطَّبيعة هو دين الفطرة، لذا أقف في مخاطبة الشاب إميل، إن قدر له أن يعتنق ديانة أخرى فليس من حقي أن أرشده إليها، عليه أن يختارها هو لنفسه". (جان جاك روسو،2012، ص 16)

4. خاتمة:

لقد كان روسو من خلال نظريته التَّربويَّة من عمالقة الفكر التَّربوي، فقد أحدث بنزعته الطَّبيعيَّة ضجة في عالم التَّربية والتَّعليم، فقد كان من أهم المفكرين الَّذين أرسوا الدَّعائم الأولى للتَّربية الطَّبيعيَّة، وتمكن من تغيير واقع التَّربية في أوروبا، الَّذي يسعى إلى تكوين الطِّفل وفق رغبات المجتمع، بينما أصبحت التَّربية عند روسو عملية طبيعيَّة لخصها في مجموعة من المبادئ، ومن خلالها توصلنا إلى النتائج التَّالية:

- الإرتكاز على الطَّبيعة الخيِّرة للإنسان كنموذج لمنهج تربوي صالح، لتربية النَّشئ.
- الإعلاء من شأن الطَّبيعة الإنسانيَّة والعمل على ترسيخ فكرة الإنسانيَّة في الطِّفل وهذا يساهم في إحياء قيم الإنسانيَّة في المجتمع.
- تربية الطِّفل وفق مبدأ التَّربية السِّلبية، أي ألَّا نعلم الطفل شيئا لا يطلب تعلمه ونترك له حرية إكتشاف العالم الَّذي يعيش فيه نفسه.
- تدريب الحواس في العملية التَّربويَّة ومحاولة تنميتها وتثقيفها لأنَّها عنصر التَّمييز بين الأشياء.
- منح الحرية للطِّفل في جميع مراحل نموه، وهذا ما يساعده على التَّعامل مع بيئته الطَّبيعيَّة
- تقويم سلوك الطِّفل عن طريق الأخلاق والدِّين .

- **إقتراحات:**

من خلال النَّتائج السابقة ، نقترح ما يلي:

- أن نتخذ كتاب "إميل" نموذجا صالحا في التَّربية والتَّعليم.
- العودة إلى إحياء التراث التَّربوي لروسو في جميع المؤسسات التَّعليميَّة والتَّربويَّة ، من أجل تشجيع التَّربية الطَّبيعيَّة الَّتي تدعو إلى محبة الأطفال والعناية بهم.
- توجيه أنظار كل من المربيين والمعلمين وكل من يعمل في المؤسسات التَّربويَّة والإجتماعيَّة إلى تطبيق مبادئ روسو التَّربويَّة، لأنها مستودع مليء بالطُّرق والوسائل والأدوات الَّتي يحتاجها كل من يعمل في حقل التَّربية والتَّعليم

- إرساء وترسيخ بعض المفاهيم والتَّصورات الَّتي كانت موجودة في منظومة روسو التَّربويَّة في نفوس أطفالنا، لأنهم تهم كلا من المجتمع والتَّربية معا مثل: الطبيعة الخيرة للإنسان، الإنسانيَّة، الحرية، احترام الغير، العاطفة، الشفقة، الطُّفولة، البراءة.

5. المصادر والمراجع:

- **قائمة المصادر:**

1. روسو،جان جاك ، (1958)، إميل أو تربية الطِّفل من المهد إلى اللَّحد، ترجمة: نظمي لوقا ،الشَّركة العربية للدراسات والنَّشر، القاهرة.
2. روسو، جان جاك، (1991)، أصل التَّفاوت بين النَّاس، ترجمة: بولس غانم، المؤسسة الوطنيَّة للفنون المطبعيَّة ، الجزائر.
3. روسو، جان جاك، (1998) ، الإعترافات ، ترجمة: حلمي مراد ، ط1 ، دار ميوزيك للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت.
4. روسو، جان جاك، (2012) ، دين الفطرة، ترجمة: عبد الله العروي، ط1 ، المركز الثَّقافي العربي، المغرب
5. روسو، جان جاك ، دت، العقد الإجتماعي، ترجمة: ذوقان قرقوط، ط1 ، دار القلم، بيروت.

- **قائمة المراجع:**

1. الأهواني، أحمد فؤاد، (1987) ، جون ديوي(نوابغ الفكر الغربي)، دار المعارف، القاهرة.
2. المستكاوي، نجيب، (1989)، جان جاك روسو، ط1 ، دار الشروق، القاهرة.
3. بن تريدي ، بدر الدين، (2010)، قاموس التَّربية الحديث، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
4. صليبا، جميل، (1978)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.
5. عبد الرزاق، محمود، (1977) ، الأصول الفلسفيَّة للتربية، دار البحوث العلميَّة ، الكويت.
6. مرسي، محمد منير، (1993) ، أصول التربية ، المكتبة النموذجية الأوفست، القاهرة.
7. خاليد الخطاط (2021) ، الأسس الفلسفيَّة لنظرية التَّربية الطبيعيَّة عند جان جاك روسو، الموقع بالتفصيل:
:https://tanwair.com/archives/9171